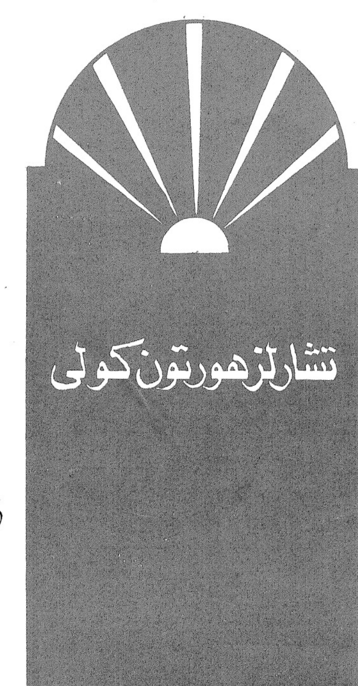
من أعلام علم الإجتماع



تشارلز هورتون كولى

تأليف
دكتور غريب محمد سيد أحمد

١٩٨١
دار المعرفة الجامعية

اهداءات ٢٠٠٢

أ.د/ السيد محمد بدوى

الاسكندرية

من أعلام علم الاجتماع

تشارلز هورتون كولي

تأليف
دكتور غريب محمد سيد أحمد

١٩٨١
دار المعرفة الجامعية

تشارلز هورتون كولى

- حياته
- كتبه
- الجماعة الأولية
- الذات الاجتماعية
- المثل الأولية
- التنظيم والشخص
- العملية الاجتماعية
- الطبقات الاجتماعية
- الاتصال
- نظرية الرأى العام
- نظرية القيادة
- خاتمة

« تشارلز هورتون كولى »

ولـــد كولى CHARLES H. COOLEY (١٨٦٤ ـ ١٩٢٩) فى مدينة آن أربور Ann Arbor ، بولاية ميتشجان ، حيث قضى طيلـــة حياته فى هذه المدينة باستثناء سنوات قليلة قضاها خارجها ، وكان ينفر من كل ما يزعج حياة التأمل والتفكير الهادى • وقد انعكس هذا على كتاباته ، حيث اتسمت بقدر كبير من الاتزان ، وتعلقه بقيم المجتمع الريفى الامريكى (١) •

تتملذ على نظريات تارد وأتباعه ، وأتخذ الظواهر السيكولوجية أساسا لتفسير طبيعة المجتمع وطبيعة العلاقات والنظم الاجتماعيـــة ، فالمجتمع مركب عضوى نفسى ، وهو يطبع أفراده على هذه الطبيعـــة النفسية ، لأن الفرد لا يولد مزودا بالطبيعة البشرية ، ولكنه يروض ويحصل عليها شيئا فشيئا من المجتمع ، ولذلكفان كلمتى «مجتمعوفرد» فى نظره لا يعنيان لفظين أو مفهومين منفصلين ، فهما حقيقة نفسيـــة واحدة(٢) • فقد أعلن فى كتابه « التنظيم الاجتماعى » الذى نشره عام ١٩٠٩ فكرته المشهورة عن « الجماعات الأولية » وهى عبـــارة عن « جماعات المواجهة » ، حيث تقوم علاقات مباشرة بين الاشخاص ، وحيث تذوب الفرديات فى كلمة « نحن » • وفى رأيه أن شخصية الفرد نتاج

---

(١) نيقولا تيماشيف ، نظرية علم الاجتماع : طبيعتها وتطورهــــا ، ترجمة محمود عوده وآخرين ، مراجعة وتقديم د• محمد عـــاطف غيث ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠ ، ص ٢٢٩ •

(٢) د• مصطفى الخشاب ، علم الاجتماع ومدارسه : الكتاب الثالث ، المدارس الاجتماعية المعاصرة ، الدار القومية للطباعـــة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٢٣٠ •

لحياة الجماعة ، وبذلك يكون الفرد والمجتمع مظهرين لحقيقة نفسية واحده (١) .

كما تأثر كولى ببعض الشخصيات الادبية مثل اميرسون Emerson وتورو Thoreau وجوته Goethe ، وربما كان شافل Schaffle هو عالم الاجتماع الذى أثر فيه خلال المراحل المبكرة من تفكيره (٢) .

ولقد كان لتشارلز كولى أثره بدرجات متفاوته فى كثير من العلماء مثل ريدبين R. Bain وفاريس E. Faris ، وفستنجر L. Festinger والتن مايو E. Mayo أما عن الذين أثروا فيه فمنهم وليم جيمس W. James وبولدوين J.M. Boldwin وديوى J. Dewey ويبدو أنهم أثروا فيه عندما تحدث عن ارتقاء الذات أو الأنا (٣) .

وربما كان من أوضح العناصر التى وردت فى نظرية كولى ، تسربها من المناخ الثقافى والاجتماعى للمجتمع الامريكى فى أواخر القرن التاسع عشر ، ويتضح هذا فى قوله بأن النظرة الكاملة لابد أن تأخذ الفرد فى اعتبارها ، معارضا بذلك اتجاه المدرسة الفرنسية فى دراسة المجتمع ، ونظريته بأن الشعور بالملكية هو الاساس فى ارتقاء الأنا . وقد كانت الملكية الخاصة احدى القيم الرئيسية فى الحضارة الامريكية فى ذلك

---

(١) أرمان كوفيلييه ، مقدمة فى علم الاجتماع ، ترجمة د. السيد محمد بدوى وعباس احمد الشربينى ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦١ ، ص ٥٥ .

(٢) نيقولا تيماشيف ، مرجع سابق ، ص ٢٣٠ .

(٣) د. مصطفى سويف ، مقدمة لعلم النفس الاجتماعى ، مكتبة الانجلو المصرية ، ص ١٩٢ .

الوقت (١) ٠

يقول دون مارتندال : ان المذهب السلوكى الاجتماعى لدى كولى له متضمنات فهو يشرح الحوادث الاجتماعية على أساس تطبيقها على البناء الداخلى وليس على أساس خارجى ، فلم يحـــاول أن يشرح الحوادث الاجتماعية عن طريق البيئة الفيزيقية أو الوراثية أو العنصرية (٢) ٠

★ كتبـــه :

يرى بوجاردس أن كولى قد أضاف اســـهامات الى علم النفس الاجتماعى دون استخدام مصطلحات معملية ، ففى عام ١٩٠٢ نشر كتاب عن « الطبيعة البشرية والنظام الاجتماعى » ويعتبر هذا الكتاب موضحا لسلطة العلاقة التكاملية بين الذات الفردية والعملية الاجتماعية ٠ وقد تابع هذا الكتاب بآخر عن « التنظيم الاجتماعى » عام ١٩٠٩ ، وبثالث عن « العملية الاجتماعية » عام ١٩١٨ ٠ وتعتبر هذه الكتب الثلاثة تطورا للاطار المنطقى لتفكير كولى النفسى والسوسيولوجى (٣) ٠ الا أنه قد نشر قبل هذه الكتب الثلاثة كتابا بعنوان « العبقرية والشهرة ومقارنـــة الاجناس » (٤) فى عام ١٨٩٧ ٠

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٤ ـ ١٩٥ ٠

2) Don Martindale, the nature and types of sociological Theory, Boston, 1960, P. 346.

3) Emory S. Bogardus, the Development of social thought, David Mckay company, inc., N.Y., 1964, P. 492.

4) Charles H. Cooley, Genius, Fame & the comparison of Races, 1897.

ويعالج كتاب « الطبيعة البشرية »الذات من حيث ردود أفعالهـــا مع حياة الجماعة ، ويشرح كتاب « التنظيم الاجتماعى » طبيعة الجماعات الاولية ، مثل الاسرة ، وجماعـــة اللعب ، والجوار ، وطبيعة العقـل الديموقراطى ، والطبقات الاجتماعية ٠ بينما يحلل كتاب « العمليـــة الاجتماعية » عناصر عديدة فى عملها على تحديد خصـــائص المجتمع ٠ والنقطة الجوهرية فى الكتب الثلاثة مؤداها أن الفرد والمجتمع همـــا مظهرين لنفس الظاهرة ، فهما يولدان معا وينموان معا (١) ٠

لقد رأى كولى ــ بحق ــ أن كل شكل للتنظيم الاجتماعى ، انما يتكون من خلال عملية التفاعل المتصلة الحلقات ، وسوف نستشف آرائه من خلال كتابيه « الطبيعة البشرية والنظام الاجتماعى » (٢) و « التنظيم الاجتماعى » (٣) ٠

★ **الجماعة الأولية :** Primary Group

يعد كولى أول من درس الجماعة الاولية ، فقد قدم وصفا كلاسيكيا لها فى كتابه « التنظيم الاجتماعى » (٤) ٠ ويرى أن الجماعات الاولية

---

1) E.S. Bogardus, Op. Cit., P. 492.

2) Charles H. Cooley, Human Nature and the social order, The Free press, N.Y., 1956.

3) Charles H. Cooley, Social Organization, A study of the large Mind, The free press, N.Y., 1956.

4) Charles H. Cooley, Social organization, Op. Cit., PP. 23-31.

هى تلك التى تتميز بعلاقة المواجهة المباشرة (١) والتعاون . انهــا « أولية » من وجهات متعددة ، ولكن الاهم فيها كونها أســاسية فى تكوين الطبيعة الاجتماعية والمثل Ideals الاجتماعية للافراد . كما تتمثل نتيجة العلاقة المباشرة ـ من وجهة النظر السيكولوجية ـ فى شكل خاص يتميز به الافراد فى الكل بصفة عامة ، حيث يصبح المرء فى ذاته هو حياة وهدف الجماعة المشترك ، وذلك لاغراض عديدة . وربما تكون الطريقة الاكثر بساطة لوصف هذا الكل متمثلة فى القول بأنها تكون الـ « نحن We » ومتضمنة لروح التعاطف والتوحد المتبادل حيث يصبح « نحن » تعبيرا طبيعيا ، فيعيش المرء بشعور الكل ، ويجد أهدافه وارادته الاساسية ماثلة فى هذا الشعور .

ان اكثر التجمعات الانسانية شيوعا تلك الجماعة الاوليـــة أو الجماعـــة التى تكون فيهـــا العلاقـــة وجهـــا لوجـــه . والوحدة الاساسية فى المجتمع هى الجماعة لا الفرد . وأكثر أنواع تلك الجماعات شيوعا هى الاسرة وجماعة اللعب وجماعة الجوار وجماعةالعملوجماعات كبار السن فى القرية . يقول كمبال يونج : « هذه الجماعات أولية بمعان كثيرة فهى أول جماعات يكون فيها الفرد عاداته واتجاهاتـــه . وهى أساسية لارتقاء الذات الاجتماعية والشعور الخلقى ، وهى التى تدرب الشخص على التماسك الاجتماعى والتعاون (٢) .

---

(١) مصطلح « علاقة المواجهة المباشرة » ترجمة للعبارة
Face to face association

والمقصود به : الجماعات التى يواجه فيها الاعضاء بعضهم البعض مواجهة مباشرة دون أن يكون بينهم وسيط أو رئيس أو قائد ، فهى علاقة الوجه للوجه .

2) Kimball young, personality and problems of adjustment, PP. 57-58.

ولم يفترض « النحن » أن وحدة الجماعة الاولية مجرد أى مظهر من مظاهرها ، ولكنها وحدة متميزة بتنافس الاعضاء فى الجماعـــة ، وسماحها لهم بتأكيد ذواتهم وتأكيد انفعالاتهم . الا أن هذه الانفعـالات تصبح اجتماعية عن طريق التعاطف ، وتظهر — أو تميل الى الظهور — تحت نظام المضمون العام . وقد يكون الفرد طموحا ، وسوف يفصح الموضوع الرئيسى فى طموحه عن نفسه ، عند مخاطبته للآخرين والتحدث معهم . ويضحى هدفه الاساسى متمثلا فى احتلال مكانة مرموقة فى عقول الآخرين . وسوف يشعر بالولاء Feel allegiance لمستويات عامـــة من الخدمة أو اللعب ، ولذلك فالفتى قد يتناع مع زملائه فى فريق اللعب، الا أن ثمة تفاخر عام بفصله أو بمدرسته على الاقل .

وهكذا تتبلور المشاعر النفسية فى نطاق الجماعات الاولية المرتبطة فى نوع من الاتحاد أو الامتزاج بين الذوات الفردية ، فينتج عن ذلك كل مشترك لدرجة أن « الانا » الحقيقية للفرد تجاوز حدود فرديتها ورغباتها الخاصة ، وتتحد مع الحياة العامة للجماعة ، وتتمثل الرغبات الجماعية التى تسودها . أى أن الفرد ينتقل من مجرد « الانا » الى « النحن » ويصبح هذا المفهوم الاخير هو التعبير الصحيح عن الحقيقة الاجتماعية . فالفرد يعيش فى مشاعر الكل ، وشخصيته تذوب فى شخصية الجماعة، والأنا تتلاشى فى النحن . وعن هذا الطريق تتولد الغيرية وحب الخير والمشاركة الوجدانية ، والمثل المشتركة ، ومن ثم يتأصل فى نفوس الافراد احترام النظام الاجتماعى والقانون والحريات والعدالة . وهذا هـــو ما تقول به المدرسة الفرنسية الاجتماعية من أن الفرد هو نتاج الحيـــاة الاجتماعية (١) .

---

(١) مصطفى الخشاب ، علم الاجتماع ومدارسه ، مرجع سابق ، ص ٢٣٢ .

وتبدو « الاسرة » على أنها اكثر الدرجات أهمية لهذه العلاقـــة المباشرة ولهذا التعاون أيضا ٠ كما تبدو هذه الدرجات فى جماعـــات اللعب والجوار أو جماعات المسنين٠ومن الناحية العملية فلهذه الدرجات صفة العمومية ، ويكون الانتماء فيها متمثلا فى كل وقت وفى كل مرحلة من مراحل النمو٠وعلى ذلك فانها تكون الاسس العامة فى الطبيعة البشرية وفى المثل الانسانية ٠ ولايشك احد فى عمومية جماعات لعب الاطفال أو الاجتماعات غير الرسمية بمختلف أنواعها لدى الكبار ٠ وهكـــذا تتضح أهمية تلك العلاقة فى تربية الطبيعة البشرية فى العالم الذى يحيط بنا ٠

وينبغى أن نبين أهمية جماعات اللعب (١) حينما لا تكون موضوعا للملاحظة العامة ٠ وفى الواقع يعيش الاطفال ـ وخاصة الفتيان الذين يصلون الى الثانية عشر من عمرهم ـ كرفقاء fellowships حيث ينشغلون أكثر بتعاطفهم وطموحهم وولائهم ٠ وقد يتخذ هذا شكلا اكثر وضوحا عما لو كانوا فى أسرهم ٠ ويمكن أن يأخذ أى منا نفسه كمثال على انتمائه لصبية ـ متكيفين أو غير متكيفين ـ أكثر من التجائه الى رفقة الوالدين أو المدرسين ٠

---

(١) حينما أراد كولى أن يقدم نموذجا مصـــغرا للمجتمع ـ وذلك فى كتابه « الطبيعة البشرية والنظام الاجتماعى ص ٦ ومابعدها ، طبعة ١٩٢٢ » ـ اختار فريق كرة القدم ليمثل ذلك النموذج ٠ ومفهوم الفريق يشير الى جماعة ينظم اعضاءها نمط من العلاقات الاجتماعية المستقرة ٠ ولكل منهم دور متسق داخل هذا النمط ٠ ولهذا السبب أيضا نجد أن كولى حينما أراد أن يعمم القول ، قرر أن هذا الكلام يصدق على الاسرة والمدينة والامة ، وهذه كلها وحدات اجتماعيـــة مستقرة ٠ (د٠ مصطفى سويف ، مقدمة لعلم النفس الاجتماعى ، مكتبة الانجلو المصرية ، ص ١٨١) ٠

وربما حظيت جماعات اللعب اغلب اهتمامات الكتاب فى أوروبا ، ولذلك نرى أن آدمز Jane Addams تشير الى أن العصابة Gang ذات صفة عامة فى العادة • كما انها أجرت مناقشة لم تنته حول شرح نشاط العصابة ، اذ لاحظت أنه « فى الذرات الاجتماعية ـ كما يقال ـ يتعلم لشاب كيف يعمل معتمدا على قدراته الخاصة » •

كما تلعب جماعات الجوار دورا هاما فى الحياة الاولية والمتعاطفة لدى الناس•وفى حياتنا الخاصة تحطم الولاء للجوار عن طريق نمو شبكة الاتصالات المعقدة والواسعة والتى جعلتنا كغرباء يعيشـــون فى منزل واحد • وقد حدث نفس الشيء تقريبا حتى فى الريف ـ بالرغم من قلة وضوحه ـ وذلك بتناقض الماديات والروحانيات عند ارتباطها بالجوار •

ان الجماعات الاولية ، أولية ، من حيث أنها تعطى الفرد خبرته الاولى والمركبة عن الوحدة الاجتماعية • وكذلك من حيث انهـــا لاتتغير بنفس الدرجة كما يحدث فى العلاقات المؤقته • فهى تشكل المنبع الدائم والمتميز • ومع أنها لا تعتمد على المجتمع الاوسع ، فانها تعتمد على بعض الانعكاسات التى يحتويها • فهذه الجماعات هى ينبوع الحياة ، ليس فقط بالنسبة للافراد ، وانما للنظم الاجتماعية كذلك • ان جزءا منها فقط يتكون عن طريق التقاليد الخاصة ، وهى عموما تعبر عن الطبيعة العامة • ولذلك فقد يختلف شكل الحكومة أو الدين من حضارة لاخرى ، الا أن جماعات الاطفال والاسرة ذات صفة عامة فى كل الحضارات •

هكذا يبدو أن الطبيعة البشرية ليست شيئا منفصلا عن الفرد ، ولكن طبيعة الجماعة هى الوجهة الاولى للمجتمع ، ولابد من الرجوع الى الجماعات الاولية (١) • ان هذه الوجهة هى العلاقة البسيطة والحالـة العامة للعقل الجماعى • انها شيء اكثر من ذلك فمن ناحية فهى أكثر

1) Cooley, social organization, Op. Cit., PP. 29-30.

من مجرد غريزة تولد فينا ، ومن ناحية أخرى فهى اكثر من كونها مجرد تطور لتجمعات من الافكار والعواطف لتى نتخذها فى مواقف معينـــة • انها الطبيعة التى تتطور ويعبر عنها ببساطة فى جماعات المواجهـــــة المباشرة ، حيث تتشابه فى جميع المجتمعات مثل جماعة الاسرة وجماعات اللعب والجوار • وتتشابه هذه الجماعات فى الخبرة والافكار والعواطف التى تضفيها على العقل الانسانى • وعلى هذا تصبح الطبيعة البشريـــة موجودة فى كل مكان ،، ولا يمتلكها الانسان بمجرد مولده ، وانما من خلال رفاقه ، ولذلك يتأخر وجود الطبيعة البشرية فى حالة عزلـــة الانسان • وهذا يعنى ـ ببساطة ـــ ان المجتمع والافراد وجهين لكل عام • وعند النظر الى حقيقة وجود فردين ، فلابد من النظر اليها كحقيقة اجتماعية •

وللفرد طريقان فى الحياة يتحرك خلالهما ، احدهما يأتيه عن طريق الوراثة والاخر يأتيه عن طريق المجتمع • والخاصة الرئيسية للوراثـــة الانسانية هى قدرتها على التشكيل Plasticity أى مقدرتهـا على التعليم • ولا يمكن تفسير عقدة الطبيعة البشرية والسلوك على أســـاس الغرائز كنوع من التخصص الذى لا يتطابق مع الواقع • وهذا لا ينفى أن الطبيعة البشرية بيولوجية • كذلك من الناحية الاجتماعية ، فالطبيعة البشرية هى طبيعة الجماعة المتطورة والتى يعبر عنها فى الجماعـــات الاولية حيث ثمة نوع من المدنية لدى الناس سواء • وبهذا لا تـــكون الطبيعة البشرية متناقضة مع طبيعة الافراد • فالجماعات الاولية هى مربى الطبيعة البشرية (٢) •

---

2) Edward C. Jandy, Charles Horton cooley : his life and his social Theory, The Norwood press, N.Y 1942, P. 174.

ونتساءل ، هل تتغير الطبيعة البشرية ؟ ان للطبيعة البشرية سمات تجعلها لا تتغير ومع ذلك فقد ذهب كولى الى امكانية اختفاء بعض هذه السمات ، كما يمكن التحكم فيها ، وبهذا يمكن تغيير الطبيعة البشرية ٠

ويتساءل كولى ، هل ثمة طبيعة بشرية توجد فى شىء اكثر من وجودها فى الجماعات الاولية ؟ ويجيب بقوله : انه لا يوجد اضطراب يفصل خصائص الفرد المتسقة مثل التنافس والغرور والاستياء ، تلك الخصائص التى لا يدركها العقل كأشياء منفصلة عن المجتمع ، واذا كانت هذه الخصائص منتمية الى الانسان، فما نوع أو درجة الترابط بينها وماهو تطور هذا الترابط ؟ اننا لا نستطيع افتراض عدم وجود انسان يجتمع بالاخرين ، وذلك لان التجمع وجه من وجوه المجتمع ٠ ويزول هـــذا الوجه فقط عندما تسكن الطبيعة البشرية بصفة عامة ٠ وباختصار فان الاسرة والجوار أساسيان بما لهما من أصول وجذور وليس لشىء آخر ٠ ولهذا فان أى دراسة للمجتمع يجب النظر فيها الى النوع الانسانى ككل دون اقسامه الفرعية ٠ ويجب أن ننظر ونشعر بالحياة العامة للاسرة وللجماعات المحلية كحقائق قائمة ٠ وربما نفعل ذلك معتمدين على خبراتنا من خلال ملاحظة حياتنا الخاصة ٠ وسوف يساعدنا هذا على الوصول الى وصف مجرد لطبيعة الجماعة الاولية التى نما منها كل شىء اجتماعى ٠

ويقول كولى فى كتابه « الطبيعة البشرية والنظام الاجتماعى » أن النظرة الشاملة المكتملة للمجتمع تضع فى اعتبارها الافراد جميعا ، وعلى ذلك فمن الخطأ اعتبار الفرد والمجتمع ضدين متقابلين ، اذ الواقع أنهما متكاملان ٠ واذا تعمقنا النظر فى الافراد ، فاننا ننظر الى الحياة من حيث التشتت ، واذا نظرنا الى المجتمع ، فانما ننظر الى الحيـــاة من حيث التجمع (١) ٠

(١) غريب محمد سيد احمد ، المدخل فى دراسة الجماعات الاجتماعية ، دار الكتب الجامعية ، اسكندرية ، ١٩٧٣ ، ص ١٤٥ ــ ١٥١ ٠

ويمكن دراسة البناء بطريق مباشر ، كما يمكن بحث الاتجاهات عن طريق الثقافة ، وتحليل « التمثلات الجمعية » لفعل الجماعة • فبينما نركز الانتباه الى هذه المظاهر الجمعية للسلوك البشرى ، فان الحقيقـــة لاتفقد الضوء بامكانية دوام حياة الجماعة من الماضى من خلال سلوك الافراد • ولقد عمل كولى على التأليف بين هذين المدخلين تأليفا قويا عن طريق توضيح أن الفرد والمجتمع ماهما الا وجهين مختلفين لحقيقـــــة واحدة ، أو وجهين لنفس العملة ، فالشخص والجماعة ليسا متطابقين، ولكنهما يوجدان معا ويرتبطان سويا (١) •

لقد وضح كولى مفهوم « الجماعة الاولية » حتى وجد علماء الاجتماع أن ذلك يمكنهم من اضافة مفهوم «الجماعة الثانوية Socondary Group بعكس السمات التى وضعها كولى للجماعة الاولية (٢) • وعليه لم يضع كولى مفهوم « الجماعة الثانوية » (٣) •

ومن الجدير بالذكر أن مفهوم الجماعة الاولية والجماعة الثانوية من بين المفاهيم القليلة التى لا تزال محققة الفائدة فى بحوث علم النفس الاجتماعى ، وخاصة الفرع المسمى حاليا باسم ديناميات الجماعــــة

---

1) R.L. Sutherland, J.L. Woodward & M.A. Maxwell; Introductory Sociology, Oxford & I.B.H. pub., New Delhi, 1961, P. 131.

2) Lewry Nelson et al., Community Structure and change, The Macmillan company, N.Y., 1964, P. 225.

3) Bierstedt, The Social order, Mcgraw-Hill company, N.Y., 1957, P, 261 & also : Lewis A. Coser & Rosenberg, Sociological Theory, N.Y., 1965, P. 309.

Group dynamics (١) ، والذى يلفت النظر أن هذه الجماعات الصغيرة شبيهة بفرق كرة القدم — الى حد ما — وهو النموذج الــذى اعتبره كولى شبيها بالمجتمع المستقر • ومع ذلك فانه لم ير فى هــذا الفريق أشكال السلوك جميعها (٢) •

لقد أضاف كولى الى نظرية الجماعة ما أسماه بالجماعات الاولية ، مثلما وضع سمنر تمييزا بين الجماعـات الداخلــة In-groups والجماعات الخارجة out-groups • وهناك ثنائيـة فى المصطلحـات أيضـا بين علماء الاجتماع مثل جامبلوفيتز Gumplowicz الذى ميز بين نماذج الجماعة الاجتماعية المتسمة بالوحدة الاخلاقية على عكس النظام الاجتماعى • كما ميز تونيز Tonnies بين المجتمع والمجتمع المحلى • وكذلك قدم كولى تفسيرا يعتبر رائدا فى ميدان الجماعة ، اذ وضــع مجموعة مفاهيم لها فى علاقتها بمفهوم الذات الاجتماعية ، وغير ذلك من الالفاظ المستخدمة فى المذهب السلوكى فى علم الاجتماع (٣) •

ولم يكن كولى غير حذر من أن الجماعات الاولية تضــحى اكثر تحشدا ضد الكل • وخلال العشرين سنة ا لتى عاشها بعد نشر افكاره هذه عن الموضوع ، واجهته مشكلة كبرى من جراء انهيار الجماعـات الاولية •فان نمو عدم شخصية Impersonality العلاقات الاجتماعية — مثل انهيار الشعور بالجوار وانكاره ، ووهن العزيمة وعدم وحــدة الاسرة ، وتغير جزء من العلاقات والاتصالات ، وازدهار التجارة ، وتغير كيفية قضاء وقت الفراغ بالنسبة للشباب ، ونمو الامن فى الطبقات العاملة — فلقد رأى كولى نمو المرتبة وتطور اشكال التجمعات غير الاولية

---

(١) مصطفى سويف ، مرجع سابق ، ص ١٩١ •
(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٩ •
3) Don Martindale, Op. Cit., P. 345.

التى أخذت مكانها اكثر وأكثر محل حياة الجماعة الاولية ، متمتعة بهذه الاشكال المختلفة · وحينما كتب كولى هذا كان يعتقد أن هذه العملية المعقدة تتضمن التفكك والفساد والانكار بصورة كبيرة ·

وبالرغم من أن المفهومات القليلة فى علم الاجتماع ترجع فى أغلبها الى مفهوم كولى عن الجماعات الاولية ، فان بعض الجماعات التى تصورها قد يستبعدها بعض العلماء فماكيفر Maciver مثلا لا يضع جماعة الجوار ضمن فئة الجماعات الاولية اطلاقا (١) ·

★ الذات الاجتماعية : The Social self

ينظر كولى الى المجتمع على أنه ظاهرة عقلية ، بمعنى أنه يمثل العلاقة بين الافكار وبين الشخصية·فالمجتمع موجود فى أى عقل باعتباره تأثيرا متصلا ومتبادلا لافكار معينة · وهو يوجد فى كل عقل كما يوجد فى عقل الجماعة ·

وهنا يطبق كولى على المجتمع نفس المدخل الذى اتخذه جيمس James فى تفسير النفس · وليس غريبا أن يستجيب تصور كولى عن النفس مع ما أطلق عليه جيمس بالنفس الاجتماعية أو الذات الاجتماعية Social self · اذ تتمثل شخصية الصديق فى عقلى على أنها — ببساطة — مجموعة من الافكار التى تصاحب رموزا معينة عنه(٢)· وبالمثل توجد ذات الشخص ببعض الافكار ، مثلما بين جيمس حينما فرق بين الفاعل I والمفعول me، وعليه فالذات الاجتماعية هى بعض

1) E. Janday, Op. Cit., P. 177.

(٢) استخدمت كلمة « الذات self » أو « الانا ego » لدى الفلاسفة وعلماء الاخلاق بمعان مختلفة · ونحن نناقشها هنا من وجهة النظر النفسية كمقابلة لما يطلق عليه « بالنفس الامبيريقية empirical self » أى تلك القابلة للملاحظة · وبذلك فهى تعنى حقيقة سيكولوجية تخضع للدراسة ·

الافكار التى يشار اليها بضمير المتكلم المفرد مثل « أنا » فى صيغـــة الفاعل I والمفعول me وياء الملكية mine والذاتية Myself .
وتتضمن « الذات » تلك الرموز الفردية التى تنتمى اليها بصفة خاصة٠ وتتكون « نواة الذات » The Core of the self من خلال شعور الذات المتمايز ٠ وتتكون الذات الاجتماعية من عادة التخيل المتصلـــة بشعور الذات المتميز هذا (١) ٠

أما عن طبيعة « الأنا » فهو شعور أو خبرة شعورية يمكن أن نطلق عليها « شعورى أنا My feeling » أو « الشعو بالملكية Sense of appropriation »وهذه المشاعر غريزية ، أى تولد معنا ، ووظيفتهـــا الرئيسية هى توحيد ضروب نشاط الفرد ودفعها الى الامام (٢) ٠ ومع أن « الأنا » يولد معنا ، الا أنه يظل مبهما الى حد كبير ٠ ولا يتحدد أو ينمو الامن خلال الخبرات التى يمر بهـــا الشخص ٠ فاذا به يرتبط بالاحساسات البصرية والعضلية ٠ كما يرتبط بادراكاتنا وأفكارنا (٣)٠ وأول شىء يرتبط به « الأنا » لدى الطفل هو محاولات الطفل فى أن يتحكم فى الاشياء الواقعة تحت بصره ، فيرتبط بمحاولاته للتحكم فى أعضاء جسمه ، ثم بمحاولاته للتحكم فى أفعال المحيطين به ٠ ويرتبط « الأنا » بعد ذلك بأى نشاطغرضى يبذله الطفل ، أى بأى نشاط يهدف الى تحصيل غرض معين (٤) ٠ والمجال الرئيسى لهذه الافعال هو الحيـــاة الاجتماعية ٠

---

1) Don Martindale, Op. Cit., P. 344.
2) Charles H. Cooley, Human Nature and the Social order, the Free Press, N.Y., 1922, P. 169.
3) Ibid, P, 171.
4) Ibid, P. 177.

على أن هذه الخطوات التى ذكرناها الآن لم تكن كافية فى نظر كولى للدلالة على أن « الأنا » اجتماعى فى صميمه ، وانما كانت كافية فقط للاشارة الى أنه ينمو داخل المجتمع ، مرتبطا بأفعال الفرد وبقدرته على التحكم فى أفعال الاخرين • بيد أن مـا يجعله اجتماعيا فى جوهـره سببلان : أولهما أن هذا النمو بالصورة التى وصفناها داخل المجتمع يجعل فكرة الذات عبارة عن شعور بما يميز حياة الفرد عن حياة الاخرين • وثانيهما ، أن الضمير « أنا » كما يستخدم فى الحياة اليومية يتضمن الاشارة الى الاخرين • ومن المشكوك فيه اننا نستخدم مصطلح « أنا » أى استخدام دون تفكير فى شخص آخـر • ومن المشكوك فيه ـ كذلك ـ أن يبرز لدينا الشعور بالانا فى أية لحظة دون أن يكون مصحوبا بشعور معين عن ذوات الاخرين ، بل اننا لانكاد نفكر فى شىء ونربطه بالانا الا على أساس أن له دلالة اجتماعية • حتى جسمنا اذا فكرنا فيه على أنه جزء من « الأنا » الخاص بنا ، فذلك لان له فى نظرنا وظيفة اجتماعية • ومثال ذلك ، أن أقول : أنا أطول منك ، أو أن تشعر فتاة بأنها جميلة ، أو أن يشعر رياضيا بأن بدنه قويا ، هذه جميعا تصرفات تتضمن التسليم بأن للجسم قيمة اجتماعية (١) •

تلك النظرة الشهيرة لكولى التى تتضـمن كثيرا من العمق فى الملاحظة والتأمل عند تناوله للطبيعة الاجتماعية للذات والشخصية، حتى أضحت نظرته بمثابة جزء أساسى للنظرية السوسيولوجية المتسقة فى التنشئة الاجتماعية (٢) •

---

1) Cooley, Ibid, p. 183

وثمة عرض لكتاب كولى « الطبيعة البشرية والنظام الاجتماعى » انظر مصطفى سويف ، مرجع سابق ، ص ١٨٠ ـ ١٨٩ •

2) L. Wilson & W.L. Kolb, Sociological Analysis, Harcout Brace & comp., N.Y,. 1949, P. 207.

يتساءل كولى : كيف يتعلم الطفل معنى كلمة « أنا » ؟ ويجيب على ذلك بقوله ، انه يتعلم معانى الكلمات الدالة على العاطفة والانفعال ، مثل تعلمه الكلمات الدالة على الرجاء والاسف الاسى والاشمئزاز . وذلك أولا بممارسة الخبرة الشعورية نفسها التى تشير اليها أى كلمة من هذا القبيل . ثم بأن يفترض جود هذه الخبرة لدى الاخرين الذين يحيطون به ، وأنها مقترنة بتعبير معين . ثم بأن يستمع الى الكلمة التى تصاحب دلالتها . وبهذا تنتج مختلف جوانب الأنا من خلال التعامل مع الاخرين (١) .

ومن أهم جوانب « الأنا » التى تقع داخل نطاق اهتمامات عالم النفس الاجتماعى ، ما يعرف باسم « الذات المنعكسة Reflected Self » وكأنما تنعكس الذات على سطح مرآة ، وهذه المرآة هى المجتمع . وتوضح الذات — هذه — ماتبد عليه فى نظر الاخرين (٢) ، الا أن النظرة التحليلة تكشف عن أن هذه الذات تنطوى على عناصر ثلاثة هى :

أ — تخلينا لما نبدو عليه فى نظر شخص آخر .

ب — تخيلنا لحكم الاخرين علينا .

ج — ثم ما يترتب على ذلك من شعور بالفخر أو بالمذلة .

---

1) Ibid, P. 192.

(٢) ان قضية توماس THOMAS عن مشكلة علم الاجتماع على انها احدى نتائج تأثير المجتمع والثقافة على الفرد ، أو الفرد على المجتمع والثقافة ، تطابق نظرية كولى حيث كانت هذه المشكلة ماثلة لديه فى العقل . وذلك حينما بين تأثير الجماعة الاولية فى ارتقاء الذات ، وحينما أوضح ايضا تأثير مثل الشخص فى التنظيم الاجتماعى والنظم الاجتماعية والرأى العام .

Don Martindale, Op. Cit., P. 349.

والملاحظ أن معظم مظاهر سلوكنا فى مختلف المواقف الاجتماعية ، تكون خاضعة لمقتضيات هذه الذات المنعكسة (١) • ولذلك يميز كولى بين الشعور الذاتى Self consciousness ، والشعور الاجتماعى Social consciousness ، والشعور العام Public Consciousness (٢) • فالأول : هو ما أفكر فيه عن نفسى ، والثانى : هو ما أفكر فيه عن الناس ؛ والثالث : هو تجمع وجهات النظر عن الشعور النفسى والشعور الاجتماعى لكل اعضاء الجماعة المنظمة والمتكاملة فى جماعة ذات اتصال Communicating Group • وعلاوة على ذلك فان نماذج الشعور الثلاث انما هى اجزاء فى كل عضوى • حتى الحياة الاخلاقية للاشخاص ، فانها جزء من وحدة المجتمع العضوية،ومن ثم تصبح المعرفة الاجتماعية أساسا للاخلاقيات ، وتصبح لها أهمية فى العملية الاخلاقية ذاتها •

حقيقة انه يوجد بالفطرة شعور غريزى بالذات Self Feeling لكن لايمكن للانسان أن يكون واعيا بذاته Self Consciousness الا اذاأصبح ذاتا اجتماعيةSocial self • فالمجتمع هو الذى يضفى على الفرد الشعور الحقيقى بالذات ، وبفضل الحياة الاجتماعية تتحول النزعة الفطرية المتعلقة بالذات الى تأكيد اجتماعى لذات الفرد • وبذلك يصل كولى عن طريق تحليل مشاعر الذات ومراحل تطورها الى نوع من الواقعية الاجتماعية • ومعنى هذا أن الشعور بالذات يتضمن موقف الذات فى الحياة الاجتماعية من خلال العلاقات التى ينسجها المجتمع حول أفراده (٣) •

---

1) Cooley, Human Nature & The Social Order, Op. cit., P. 184.

2) Emory S. Bogardus, The development of Social Thought, Op. Cit., P. 493.

(٣) مصطفى الخشاب ، مرجع سابق ، ص ٢٣١ •

ان تصور كولى عن « مرآة الذات Looking Glass Self » هو شكل خاص لما وصفه جيمس بالنفس الاجتماعية ، مع أن الاخير قد قدم تفاصيلا اكثر • ولقد تكلم كولى عن تطور علم الاجتماع منطلقا من فكرة جيمس عن الذات الاجتماعية • الا أن كولى أراد « بمرآة الذات » أن يطور النظرية العامة للمجتمع ، كما توسع فى المذهب السلوكى فى علم الاجتماع عن طريق الاهتمام بدراسة الجماعات والتنظيم الاجتماعى(١) •

وبهذا يتضح الطابع السيكولوجى لعلم الاجتماع أكثر وأكثر فى أعمال كولى • فلقد شرح تلك القضية التى مؤداها أن الانسان يعمل على تطوير فرديته وتنميتها ، وأن « طبيعته » تكمن داخل المجتمع فقط • فالذات Ego فى استعارته الشهيرة هى « ذات منعكسة على مرآة » طالما أنها ترى ذاتها فقط كما تبدو للاخرين وكما تتمثل فى عقولهم • وبهذا الطريق ينمو « الوعى الذاتى » من « الشعور الذاتى » (٢) •

ويتحدث كولى عما اطلق عليه « نحن We » أو الذات الجماعية Group Self (٣) وهى شكل من أشكال نمو « الأنا » يتحقق اذا ماتوافرت شروط معينة أهمها : عضوية الفرد داخل جماعة بعينها يسود التعاون أعضاؤها ، كما تتعارض مع غيرها من الجماعات • ومثلما يعتمد « الأنا » فى ارتقائه على التحكم فى أفعال الاخرين ، مما يمكنه من الشعور بامتلاك هذه الافعال ، كذلك « النحن » يعتمد على الشعور بما يشبه الملكية المتبادلة بين « الأنا » والاخرين • ويمكننا على هذا الاساس أن نتصور عددا من الذوات الجماعية يساوى عدد الجماعات التى يدخل الفرد كعضو فيها ، فهناك ذات اجتماعية مترتبة على عضوية

---

1) Don Martindale, Op. Cit., P. 344.

2) J.H. Abraham, The Origins and growth of Sociology, Hazell Watson & Viney Ltd., London, 1973.

3) Cooley, Human Nature & the social order, Op. Cit, P. 209.

الشخص فى جماعة من الاصدقاء ، وذات جماعية أخرى مترتبـة على عضويته فى ناد معين ، وذات جماعية أو « نحن » مترتبة على عضويته فى وطن معين ، أو فى طائفة دينية معينة ، أو فى مدرسة فكرية بعينها .. وغير ذلك .

★ المثل الاولية : Primary Ideals

ترقى الحياة فى الجماعات الاولية الى مرتبة مثل اجتماعية تنبع من تشابه الخبرات ويكون لها صفة العمومية بالنسبةالىالجنس البشرى، وتحدث عملية الرقى هذه بطريق تلقائى كلمـا تحرك وارتقى التقدم والنمو الاجتماعى . ويجتهد ا لناس خلال كل الانساق الاجتماعية ، رغم عدم تبصرهم أحيانا ، فى التحقق من الموضوعات القائمة فى هذه الانساق عن طريق خبراتهم المألوفة فى الحياة الاولية (١) .

فمن أين نحصل على أفكارنا عن ا لحب والحرية والعدالة وماشابه ذلك ، لكى نطبق هذه الافكار على مختلف المواقف الاجتماعية ؟ اننـا نحصل على الافكار ليس عن طريق الفلسفة التجريدية ، ولكن اعتمادا على الحياة الواقعية المستمدة من الجماعات الاولية كالاسرة أو جماعـة اللعب مثلا . والملاحظ أن الجنس البشرى يحقق ذاته من تلقاء نفسـه خلال هذه الافكار وخلال هذه الجماعات الأولية ، اذ يرضى حاجاتـه الاساسية بطريقة ميسورة وحرة . وتختلف هذه الافكار وفق الجنس ونوع الحضارة السائد والنظم الاجتماعية . ومن هنا فثمة حاجـة ضرورية الى رعاية خاصة للجماعات الأولية التى تمدنا بالافكار .

ولم تكن الجماعات الأولية مربى الطبيعة البشرية وحسب ، وانما هى أيضا منبع المثل الاولية التى بدونها نتساءل عن جوهر وحقيقـة التجمع البشرى كالصدق والأمانة والخدمات والشفقة واتباع القانون

---

1) Cooley, Social organization, Op. Cit., PP. 32-50.

والحرية . وهذه النقطة بالذات لاتجعلنا نتأكد من اننا لا نســـتطيع الوصول الى هذه المثل عن طريق الفلسفة المجردة ، فنحن نستوعبهـــا فى العلاقات المباشرة . وللتأكيد فعلاقات الجماعة ليست موحدة من خلال التجمعات والأصول Races أو العادات ، فالجماعات الاولية منتشرة عن طريق الاحساس المتزايد بالوحدة الاخلاقية أو بشعورنا « نحن we » ، فان هذه الروح القوية « نحن »تشعرنا بجزء أكبر من مجرد التكوين ، وبصفة أعم من خبرات الكثير منا ، حيث نرى بتوسع روابط كثيرة فى البلدة التى نعيش فيها ، والاصل Race الذى ننتمى اليه وحتى العالم الذى نحن جزء منه . وفى هذه الجماعات ينسى الفرد نفسه، ويحصل على تعبير أعلى من ذلك ، يقول كولى : « انها روح فقيرة للفرد الذى لا يشعر بالحاجة ليعبر بنفسه عن هذه الجماعة الأكبر » (١) .

فالجماعات الأولية التى تتميز بعلاقات الولاء والعلاقات الوثيقة ، تعطى الخبرات الاكثر حيوية والأكثر أهمية بالنسبة للانسان ، وأن المثل العليا عن الحياة كلهـــا ممكنة ومحكومة عن طريق وجود هـــذه الجماعات (٢) .

ان المثالية هى نمو العلاقة المألوفة والأفكار العادية حتى تصبح جزءا من الطبيعية البشرية ذاتها . وتضحى فى شكلها العام على أنها جزء من الكل الاخلاقى أو المجتمع المحلى الذى فيه تندمج العقول الفردية، وتوجد قدرات الافراد على درجة عالية من التعبير المنـــاسب . وتنمو المثالية لان تلك الافكار توضع فى عقولنا عن طريق تخيلاتنا عن أفكار واحساس أعضاء الجماعة الآخرين ، كما يحدث هذا فى الجماعة ككل .

---

1) E. Jandy, Op. Cit., P. 175.

2) J.H. Abraham, Op. Cit.,

ولذلك نضع كثيرا من الاهداف كجزء من ذواتنا وبالتالى فانها تتوحــد بشعور الذات عنها .

وبالرغم من عدم وضوح أية مثالية لدى الاطفال ولدى البربريين ، فانها تبدوا عندهم بقدر بسيط للغاية ، اذ يرون أنفســهم ورفقاءهم كأفراد متميزين ومختلفين عن غيرهم ، ويرغبون فى أن يكون « نحن » متجانسا وناضجا . فكيف أن الفرد ذو العواطف يدمج نفسه فى أسرة ورفاق شباب؟ربما يحدث ذلكعنطريقخبرته بكل شىء عن نفسه.وبذلك يمكننا الشعور بتوسع هذا الكل فى مجتمعنا وجنسنا وعالمنــا الذى نعيشه .

فحياة الاسرة المتجانسة نموذج قديم للوحدة الاخلاقية . ويعطى هذا النموذج ألفاظا كثيرة وتصورات متعددة ، يسمها بصفات عديــدة كالاخوة والشفقة وما اليها . ويندمج الاعضاء بعلاقات محددة فى ذلك الكل الذى يشارك فيه كل سن وكل جنس بطريقته الخاصة . وكل يعيش فى اتصال قد يكون متخيلا فى عقول الآخرين ، كما يوجد لدى كل منهم مستوى معين من الطموح والاحساس ،ولديه دراية بدرجات الصواب والخطأ،وبدون جمود أو تزمت فهم وحدة سعيدة وحرة ومنتعشة فى حياة عامة ،وتتجه هذه الوحدة الاخلاقية نحو طموح عنيف . لكن هذا الطموح ينبغى أن يوجه من أجل نجاح الجماعة ، أو على الاقل ينبغى الا يكون معوقا لها . فالوحدة الاخلاقية المثالية ، يضعها كولى موضع الأم ، وهى هكذا بالفعل ، لكل المثل الاخلاقية (١) .

ويرى كولى أن السلوك البربرى أو المتوحش فى غالبيته قد يمجد مثالا معينا ، باستنثاء حالات قليلة . الا أن الأكيد أن ثمة درجة من الولاء ومن الشفقة (٢) .

---

1) Ibid, P. 35.
2) Ibid, P. 37.

فالصدق أو الاحساس تجاه أعضاء الرفقة الآخرين ، انما لهما صفة العمومية فى المثالية البشرية ، وهذه المثالية لا تتضمن أى حب مجرد للصدق فى حد ذاته ، بل انها تذهب الى الاحساس بالوحدة من خلال الخدمة التى يؤديها الفرد مع رفاقه • واذا كان الهدف الاساسى لنشاط الفرد لا يمكن أن يذهب أبعد من خدمة الكل ، فليس هناك أكثر من نظرة للشعور بأن الارادة موجودة حيثما يوجد الكل • ويعرف الجنس البشرى كله « الشفقة » كقانون مشروع من حقوق الجماعة • وباشتراك العقول الفردية نجد مزيجا من التعاطف ، فكل جزء يسعى لتحقيق حياته وحياة غيره ، حيث أن السعادة لذة ، والبؤس ألم بوجه عام • ان ذلك يعتبر تبسيطا وأكثر جاذبية وانتشارا فى المثل البشرية ، وعليه ينبع دورها من خلال الطبيعة البشرية ذاتها •

وعلى هذا الاساس ينظر الى المثال Ideal عن طريق الارتباط بين الحاضر والماضى ، ولدى جميع الناس • ونستطيع أن نستشف ذلك من خلال حياتنا الواقعية فحينما يعمل الناس سويا فى الحرب أو فى الصناعة ، أو فى حفلات التكريس أو الرياضة ، أو لا يفعلون شيئا ، فهم يكونون علاقات أخوية أو علاقات صداقة • وقد لا يوجد مثل ذلك فى أيامنا هذه ، اذ ثمة اختلاف للانشطة ، علاوة على الشعور بذلك • ومن هنا أصبحت فكرة التعاون دون صداقة فكرة مألوفة •

والجماعة كالفرد ، تتضمن فيها دوافع خبرات الصراع • ومثلما يشعر الفرد بالحاجة الى تحديد ضرورياته حيث يشكل سلوكه كيما يضمن الاستقرار ، فهكذا الجماعة تحتاج الى قانون أو قاعدة من أجل تحقيق نفس الهدف ، وليس لكونة قوة فائقة تستعيد بها توازنها • الا أن تشابه جميع أعضائها يدعوها الى أن تضع مقياسا يحدد ما ينبغى أن يفعله كل عضو فيها • وثمة حقيقة سيكولوجية مؤداها أنه حينما يوجد ،

الكل الاجتماعى فيجب أن يعاقب على الاخطاء ، وأن الحاجة العامة هى التماسك من خلال القانون ، حيث ينبغى على كل فرد أن يمتثل ويطيع . وتختلف الحاجة الى تلك القواعد باختلاف الدوافع ، ومع ذلك فهى تفصح عن ذاتها بصورة واضحة فى جماعة اللعب . وليس من شك فى أن لكل عضو أفكاره عن العدالة التى قد تطورت منذ ألعاب طفولته ، وأحيانـــا تتشابه أفكاره مع ما يفعل بناء على خبراته ، ويرسم الجميع من خلال خبراتهم مستويات الطموح الفردى ومحددات سلوكه .

وهناك احساس عام يختفى وراء قانون أو قاعدة ايجاد اساس ديموقراطية الطبيعة البشرية . ومع ذلك فالديمقراطية الصريحة ليست اولية أو عامة ، اذا ما قورنت بالحاجة الى القانون . الا انها أبعد من كونها وسيلة تبين القاعدة المطلوبـــة ، كمـــا أنها ليست أكثر من أن تكون خضوعا للسلطة من حيث طبيعتها (١) .

واذا مانظرنا الى اشكال المذهب المثالى الذى يعطى تقييمـــا لمعظم السلوك البشرى ، فسوف نرى أن أساسياتها متمثلة فى المثل الاولية . وفى وقتنا الحالى — على ما يقول جاندى — نجد هذه الحقيقة متمثلة فى نسقين كبيرين وهما الديموقراطية والديانة المسيحية . وأن تطلع هذين الشكلين للجماعة الاولية والمثل الاولية أمر مقرر . وقد طرح كولى سؤالا هاما مؤداه : لماذا لا تكون الطبيعة البشرية اكثر نجاحا فى انجاز تطبيق هذا الشكل البسيط والمثل المعقولة على مجال واسع ؟ بكل تأكيد ان هـذا ليس فى الامكان . ذلك لاننا لا نريد توسـيعها اكثر من ذلك . وليس ثمة حقيقة تبين يقظة الشيخوخة وحسب ، حيث أننا لا نستطيع الحياة فوق مثلنا . فهناك صعوبة كبرى فى ايجاد التنظيم والنسق .

---

1) Ibid, P. 45.

وبالرغم من النوايا الطيبة فى مواقفنا ، فان الكثير منها قاسى ومتوحش بالنسبة للافراد • وهكذا تتحطم المثل الاولية أو محاولة اجراء ذلك • وسوف يظهر لنا ببساطة وضآلة ، بناء الجماعات ، حيثما يقابلها أقل اضطراب من ناحية أداء وظيفتها على الاقل • الا أن نسيج العلاقـــات انما يتوسع ويتباين بكثرة (١) •

ان الحرية ـ أيضا ـ وجه من وجوه المثال الاجتماعى Social Ideal الذى يتضمن الفردية • فالكل الذى ننتمى اليه يتأثر باختلاف آرائنا • كما أن دوافع الطموح والمدح لها أثرها عليه وتدخلها معه • فرغباتنا وأهدافنا التى تحددها الطبيعة يمكن أن تظهر أولا ثم تتحكم فيها القيم • وهكذا نشعر بالحاجة الى التعاطف مع حاجات الآخرين المشابهـــة لحاجاتنا •

والآن ونحن بصدد تكوين هذا المبدأ الذى يختلف عن كل تقييم ، نرى أن المجتمع كل عضوى تام ،وليس هناك فرد يستطيع أن يقطع ذاته عن المجتمع • كما ليست هناك حرية منفصلة عن التنظيم ، وليس هناك ـ أيضا ـ عقد اجتماعى يمكن أن يحدده الفلاسفة • فعند التطبيق تغيب عنا أشياء كنا نتخيلها من قبل • واذا كان حقيقيا أن الطبيعة البشرية تتطور من الجماعات الاولية التى فيها يتشابه كل فرد ، نستطيع أن نذهب الى نتيجة ونظرية عن تشـــكيل الحرية الطبيعيـــة عن طريق التعاقد Contract •

ولم ينظر كولى الى حقيقة أن الجماعات الاولية هى موضوع لكلتا وجهتى الاصلاح والفساد ، ولذا تقتضى الضبط الدائم والتربية • وفى هذه الحالة كان واقعيا اكثر من غيره من الكتـــاب • وان هناك بعض

1) Don Martindale, Op. Cit., P. 345.

التلاميذ المنحرفين — على سبيل المثال — ومن هنا يمكن ادانة كولى ومذهبه المثالى فى الصورة التى أضفاها على الجماعة الاولية كالعصابة gang ، الا أن الدراسة ذات المعنى — من وجهة نظر كولى — تبدو فى دور العصابة فى حياة جماعة اللعب بالنسبة للصبى ، والتى يظهر أنه حينما يقف طبيعيا على اكثر تأثيرات بناء الشخصية فى الجماعات الاولية ، فانه يعرف انها يمكن أن تنقل المثاليات غير الصحيحة ٠

★ **النظم والشخص :** Institutions & The person

يتحدث كولى عن أثر النظم الاجتماعية فى الشخص ، ولذا يحاول توضيح حقيقة العلاقة بينهما ٠ ويتحدد النظام ببساطة على أنه يعمل على تكوين شكل العقل العام ، الذى لا يختلف فى طبيعته عن الرأى العام ، بالرغم مما يبدو عليه من تعدد عاداته الدائمة والواضحة والرموز المتبادلة الاعتماد من جهة والمتباينة من الجهة الاخرى ٠

وعادة ما تكون النظم الكبرى منظمة للافكار الانسانيةالطبيعيةالتى تقوم حيثما تكون فى سن معينة معتمدة على موضوع خاص ، وهى تحدد الاشكال التى من شأنها استمرار احساسنا ومعتقداتنا وعاداتنا والرموز التى نستخدمها ٠ وتوجد حينما يكون ثمة اهتمام عميق وثابت يلفت انتباه الناس ٠ فاللغة والحكومة والمعبد والقوانين والعادات والاسرة والتعليم والصناعة بأنواعها ، كلها نظم ٠ لانها تعمل عن اشباع حاجات دائمة للطبيعة البشرية (١) ٠

ولا يمكن فصل هذه النظم حيث أن اشكالها العامة وأفكارها

(١) اعتمدنا فى عرض هذه الفكرة على :
Edgar F. Borgatta & Henry J. Meyer, Sociological Theory : Present-day from the past, Alfred Aknopf, N. Y., 1956, PP. 252-257.

متجانسة ، رغم اختلاف اتجاهاتها ، وحيث انها — كما يرى كولى — أنساق حسية opperceptive systems أو اتجاهات منظمة للعقل العام • ونحن نلاحظها كأشياء فى حد ذاتها ، بقصد التجريد فقط • والمعروف أن النسق الاجتماعى يعلو كل شىء • ويتمثل النظام لدى الفرد فى كونه عادة يتبعها عقلا وسلوكا ، ويمتثل له لا شعوريا فى غالب الأحوال • وذلك لأن النظام عام بين الجماعات جميعها ، فهو يعبر عن التصور الذاتى لما نضعه من تعميمات • ولذلك فالنظام قائم بصرف النظر عن الزمان والمكان •

ويؤثر الفرد — عادة — فى النظام ، كما أنه يتأثر به • فهو يضبط سلوكه من خلال التقاليد التى تغرس فيه منذ طفولته ، الا أنه — فى نفس الوقت — يتحكم فى شخصيته التى تتشكل عن طريق قوى أخرى ، لكى يتشابه مع غيره من الناس ولكى يسايرهم فيما يحدث لهم من تغير • وهذا يعنى أن « الوراثة » تعتبر عاملا فى هذا التشكيل ، وهذا العامل موجود فينا منذ الميلاد وحتى نتصل بالآخرين ونتأثر بهم ونؤثر فيهم ، كما يؤثر فينا عامل آخر وهو اختلاف المجتمع عن الشخصية الفردية • بمعنى العلاقة بين الطبيعة الفردية والكل الذى نعيش فيه ونكون أعضاء ، أى البيئة التى نعيش فيها • أما العامل الثالث فليس متمثلا فيما بينه وبين المجتمع بصفة عامة من علاقة ، وانما تلك العلاقة بينه وبين النظم الخاصة • ويعتبر هذا العامل اكثر العوامل تأثيرا فينا وتأثرا منا • فمنذ ميلاد الطفل وتأثير المجتمع عليه واضح للعيان • ويتمثل هذا فى عامل الاصل أو وراثة الحياة فى تناقضه مع عامل التقاليد والاتصال والتنظيم الاجتماعى • كما يتمثل أيضا فى عدم الخضوع لمجرد التطور البيولوجى للانسان ، ذلك التطور الذى يتناقض مع الكل الاجتماعى المتطور الذى ينتمى اليه ا لفرد • وفى هذا يورد كولى مثالا مؤداه أن الطفل لا يضحك

لمجرد المحاكاة ، وانما لانه يشعر بلذة وسعادة (١) ·

وأثناء نمو الطفل وتطوره ، نستطيع أن نرى تفاعلا بين نموذجين ، كلاهما قديم وثابت ، مع أن تأثير كل منهما يختلف نسبيا حسب اختلاف الافراد ، وهذين النموذجين هما الوراثة والبيئة · ويتطور الطفـــل بسرعة حيث يصبح شخصا وعضوا فى النظام الاجتماعى·ولذلك لا يمكن فصل الفرد عن المجتمع فالعلاقة بينه وبين النظم السائدة علاقة قوية · ذلك لان النظام الاجتماعى يتسم بالنضوج والتميز كجزء من البنـــاء الاجتماعى · وهو موقوف على طبيعة الاشخاص والادوار التى يلعبونها ، فكل منهم يتخصص فيه كجزء منه·ولذلك يمكن اعتبار الجانب القانونى خاصا بالمحامى والجانب الدينى لرجل الدين والجانب التجارى للتجار وهكذا يمثل كل شخص جزءا أو جانبا منه · ومن هنا يمكن القول بأن الروابط هذه تعبر عن البناء الاجتماعى ككل ، وتكون هـــذه الروابط وتلك الاجزاء والجوانب حرة من حيث دوافع الطبيعة البشرية · ويتمثل كل شخص أكثر اتجاهات الطبيعة البشرية ذات الغايات الواضحة · ويبدو النظام الاجتماعى على أنه مسايرا للتطور اكثر من تحويله لاى شعور شخصى ، اذ يستطيع الفرد أن ينقد وقد يكون خاطئا ، وقد يهاجم وكثيرا مايفشل ، الا أنه يحاول أن يأتى هجومه بتغيرات ممكنة (٢) ·

وبالرغم من وجود النظم بطرائقها العامة وبأشكلها الآليـــة فى الحياة ، فانها لازمة فى حد ذاتها كعنصر من عناصر الحرية الشخصية ، وحتى يتسنى أن يدخل الفرد فى حياة نظامية يتكيف معها · ويعتبر الجيش نموذجا من تلك النظم الآلية · وقد يكون واضحا أن نرى أن قوانين المحاكاة Laws of imitation لتارد تبين أن هناك من يخترع أو

---

1) Ibid., P. 41.

2) Ibid., P. 255.

يبتدع أو يعارض العادة العامة معتمدا على اختلاف السن أو القوة ٠

وأن الاتجاه نحو التغير يعتبر موضوعا للرأى العام أو لاى شكل من أشكال عقل العامة Public mind ٠ فالتقاليد التى نحاكيها تأتى الينا من الماضى ، بيد أن ثمة اختراعات تأتينا فى الآن ذاته ٠ ولذا يقال أن هناك محاكاة العادة custom imitation ومحاكاة الموضة fashion imitation كما يستخدمها تارد أحد علماء الاجتماع الفرنسيين فى محاولته الفصل بين السمات الاولية لمختلف المجتمعات (١) ٠

ونظرة شاملة توضح أن المحاكاة والاختراعات ما هما الا مجرد تصورين لنقل الافكار، وما الجماعات الاجتماعية الا نتاجا لهما ٠ وقد يعتمد عقلنا على الوجه التاريخى لحادثة معينة فنعتقد أنها من ضروب المحاكاة، وقد نعتمد على الوجه المؤقت الواضح فى الاختراع ٠ ومع ذلك فالعملية واحدة فى أساسها، ويبدو التعارض بينهما – فقط – فى ظهورها من ناحية خاصة ، والنظر اليها من هذه الناحية بالذات ، دون الاخرى ، فكل التأثيرات مؤقتة على أن جذورها تمتد الى الماضى (٢) ٠

ان تكيف الفرد مع النظم الاجتماعية السائدة ، هو ما دعا كولى أن يتحدث عن الامتثال ، وعدم الامتثال (٣) ٠ ويوضح ذلك بأن الامتثال ربما يعرف كمسعى يؤكد مستوى الجماعة ٠ فهناك محاكاة اختيارية لاشكال السلوك الشائعة ، تلك المحاكاة المتميزة عن المزاحمة Rivalry والاشكال العدوانية الاخرى للمفاضلة Emulation عن طريق وجود اتجاهات سلبية نسبيا تهدف الى الحصول على شىء اكبر من مجرد ظهورها ٠ وفى الجانب الآخر فهى تتميز عن المحاكاة غير الاختيارية عن طريق تركيز الانتباه على الجوانب الآلية ٠ وهكذا فالتخاطب باللغة

---

1) Ibid., P. 256.

2) Ibid., P. 257.

3) Ibid., PP. 433-435.

الانجليزية ليس متشملا لكثير منا ، فنحن نتكلم ما نرغب قوله ، بالرغم من عدم اتاحة الاختيار لنا فى مسائل معينة ٠

ويعتبر « الاحساس » بمثابة المحرك الاساسى فى الامتثال ، وقد يكون هذا الاحساس واضحا بجلاء أو أقل وضوحا عندما يصاحب الألم أو التعب من عدم الامتثال ٠ فهناك من الناس من يجد مشقة فى الذهاب الى العمل ليلا ، ويكون منبع الألم حينئذ ظاهرا من أن يكون شعورا مبهما لحب الاستطلاع الذى يتخيل الفرد اثارتـــــه ٠ وقد يبتعد عن طريق ما لشعوره باضطراب الآخرين من رؤيته نظرا لما بينه وبينهم من بعد اجتماعى ٠ وهكذا تعمل كل جماعة على الزام كل عضو من أعضائها على تمثل الحوادث التى تهدف الى أغراض خاصة محددة ٠ والكلمـــة التى تفرض علينا التلفظ بها ، ما هى الا مجرد تعبير عما لدينا من دوافع ، وخاصة عندما لاندرك لها سببا ٠

انها تبدو فى أن عدم الامتثال يعتبر دافعا عدائيا ، وذلك لطرائق السلوك التى تعود الى جهل أخلاقى ، فنحن نعزز نسق العادات من خلال الأفكار ، كما يعتمد أى شيء نفصح عنه على النظرة الى الطريقة المرغوبة، تلك النظرة التى تزعج فينا ما يسبب الاستياء ٠ ولهذا يتمثل اتجاهنا الاول فى الافصاح عما يخصنا ، اذ نتعلم كيفية الاستمرار فيه حينما ينبغى أن نتعلم ٠ وكذلك لانه يبدو ممكنا فى ايجاد سبب يبرر عـــدم تعارض هذا الاتجاه معنا ٠ فالمبتدع أو المخترع Innovator بامكانـــه الاختراع والابداع ،ويستطيع أى انسان أن يكون مبتدعا ٠ وهنـــاك عبارات اللوم التى توجه الى الاخرين ، وهى كثيرة الاستخدام كعقاب فى النسق الاجتماعى ٠ وفى فترات سوء التنظيم Disorganization (١)

(١) يترجم المصطلح Disorganization فى العادة « بالتفكك » ، الا أننا نرى ان ليس ثمة تفكك يصيب البناء الاجتماعى كلية ، انما هناك « سوء تنظيم » فى مقابل التنظيم « Organization » الذى يدعو الى التوازن فى البناء ومع أن كلمة « سوء » عبارة معيارية قيمية ، الا انها اكثر ملاءمة لطبيعة ما يعنى به المصطلح ٠

والتغير change يتعلم الناس السيطرة نسبيا على سلوكهم من خلال عدم تجنب المألوف وخاصة ما تسيطر عليه وجهات نظر متصارعة مع المعتقدات ٠

فالامتثال هو روح التعاون واحدى وظائفه هى المقدرة الاقتصادية٠ وتعتمد هذه العملية بمختلف مستوياتها على الافراد ، كما تعتمد على تقييم انتاج الافكار والخبرات المتراكمة ، وحينما تقل هذه العملية فقد يكون لذلك تأثيرا على الكل ٠ ولذا فوجود الامتثال ضرورى من أجل الحياة ٠ ان العقل لايدرك أن أحدا غير ضرورى لهذه العملية ٠ فاذا قلدت أنا المخاطب فى طرائقه ، فان ذلك يتسلسل الى آخرين ، ويكون لدى مقدرة عقلية أكثر للوصول الى أهداف أخرى ٠ ولذا يقال ان الامتثال يعتمد على العبقرية Genius الا أنه يعتمد ـ كذلك ـ على الطبيعة البشرية ٠ ويتحصل لنا ذلك عن طريق اختبار وتحصى الماضى ، ويتخذ مستويات عليا أو دنيا مستخلصة من النمو والتطور الاجتماعى ٠ وقد يكون ثمة ما يدعو الى التحريض على انتهاك الامتثال ، ولكن هناك حالات تدعو الى الامتثال ٠

ويضع كولى مفهومان مرتبطان بعدم الامتثال ، **أولهما** « دافع التمرد Rebellious أو التخمين الضدى Contrary suggestion » الذى يقود الى تجنب توقعات مستويات روح التعارض ، دون الرجوع الى مستوى آخر ٠ **وثانيهما** هو استئناف المستويات الحاضرة والعادية لتلك التى تبعد نسبيا وتكون غير عادية وغير مألوفة ٠ ويعمل هذين التصورين معا ٠ يقود أحدهما الى تشكيل مختلف أوجه الحياة لما يذهب اليه الناس ويحددونه جزئيا عن طريق التناقض الذاتى ، أو عن طريق تخيل أفكار وعمليات الآخرين الذين تختلف طرائقهم فى الحياة عنا ٠ ويمكن النظر الى التصور الثانى على أنــه أقرب الى التمثل وأبعد من

الامتثال . فالتمرد ضد التأثير الاجتماعى جزء من عدم الامتثال هذا . ومن يبدو على أنه خارج عن العملية الاجتماعية ، كان فى اتجاه آخر لفترة معينة . فاذا رفض الابن ـ مثلا ـ مهنة والديه وأصدقائه ، فانه سوف يفكر فى مستوى أرقى من مستواهم ، وينتمى الى عمل قد يكون غريبا عنه أحيانا أو ضده أحيانا أخرى ، مثل العمل فى الفن أو العلم . ويحدث هذا ـ فى الواقع ـ عندمايجدد الفرد وضعا فى الحياة لم يكن مرسوما له . الا أنه من خلال مصاحبته لرؤسائه ، أو من خلال قراءته لكتاب ، يعرف أو يسمع دقائق عمله . وتصبح البيئة من حيث مدى الاحساس بالتأثير الاجتماعى ، بعيدة عن كونها شيئا واضحا ومحددا ، وقد تكون مجرد افتراض سابق فقط .

وفى بيئتنا الواقعية تخيلات من هذا النوع ، غالبا ما تتمثل فى أفكارنا ، وقد تكون فى حالة قوية ، وعنيفة ، تعمل على تنمية العقل . وهى أشبه بشىء مختلف عما هو فى احساساتنا . وتتحدد الجماعة التى ننتمى اليها ، ونخلص لها والتى نحاول الامتثال لمستوياتها ، تتحدد عن طريق تشابه اختياراتنا ، تلك الاختيارات التى تتضح من خلال التأثيرات الشخصية المعروفة لدينا . وأبعد من ذلك فنحن نختار أى مشاركين لنا فى وضوح وجلاء ، ومن هنا يتضح معنى عدم الامتثال .

ان الجميع غير ممتثل ، بمعنى أن التشابه أو البناء يجب أن يعمل عن طريق اختيار العلاقات البعيدة ، والتناقض السافر عنها ، وقد تكون هذه العلاقات غير مثمرة فتعنى لا شىء بجانب الشخصية الخاصة . ولذا فليس ثم خط محدد بين الامتثال وعدم الامتثال . وعليه فهناك خصائص وطرق غير عادية لاختيار المشاركين لنا وانضمامهم فى جماعات .

★ **العملية الاجتماعية :** Social process

أجرى كولى تحليلا للعملية الاجتماعية ، حيث ذهب الى أنها ليست

اعادة لا طائل تحتها ، أو صراعات قاسية ومخربة ، ولكنها نمو دائـــم ومتجه الى الامام بحيث تنجم عنها مخلوقات بشرية وعقلية ومتعاونة • وعندما يصبح عنصر الصراع مفيدا ، بحيث يعمل على يقظة وتوجيـــــه الانتباه البشرى ، ومن ثم يقود الى الحيوية ، فانه يكون محدودا بعامل مناظر هو عامل التعاون والتنظيم الذى بواســـــطته ينبغى أن يكيف المناضلون ذواتهم اذا ما أرادوا لانفسهم النجاح •

ويعتبر التدرج الطبقى الاجتماعى معوقا • انه يعزل الاتصال • ويلقى بالهيمنة الاجتماعية الى ناحية ثابتة ، وهى القلة التى على اتصال ، وتحجب الاغلبية فى شرك الغموض • ويعمل كل من جماعات الجوار والآباء الفاسدين والعلاقات العنصرية الرزيلة كلها تعمل على انتـــاج التدرج الطبقى وازدياد مدى التعوق •

لقد رأى كولى أنه فى العملية الاجتماعية يصبح العنصر النظامى أكثر أهمية مثل العنصر الشخصى • اذ تورث النظم موهبة الماضى الى الافراد • ويتسمون بعدئذ بالثبات • وفى نفس الوقت ، اذا كان ثمة ضبط عقلى ، فانهم يدعون حرية الطاقة من أجل ضمانات قليلة ، ويؤدى نشاط الفرد بصفة عامة الى عدم رضاه عن وضعه فى النظم • وهكذا يبدو سوء التنظيم منبثقا من رد الفعل ضد شكلية النظام الذى يفصح عن ذاته بواسطة الاشخاص ذوى الطاقة • ومن الممكن ملاحظة ذلك عند عدم وجود اتصال بين الفردوالنظام • وتشير شكلية النظام الى أنه فى حالات معينة يكون ثمة افراط فى عملية الاتصال (١) •

كما أن المفهوم الاقتصادى للقيمة قد أجرى تحليله فى ضوء الاتجاه الفردى — حيث تنبثق الرغبات الاقتصادية من « العمق الغامض للعقل الفردى الخاص » • وبالنسبة لهذا التفسير فقد أوضح كولى الرغبـــات

---

1) E. Bogardus, Op. Cit., PP. 495-496.

والاهتمامات والقيم الاقتصادية على أنها ذات أصول فردية أساسا ، وانها نتاج اجتماعى • وأن التقييمات المالية نتاج لظروف وأنشطة الجماعة •

وقد رأى كولى أنها كانت لدى العامة عقليا متمثلة فى العمليـــة الاجتماعية • وبينما كان مؤمنا بالطبيعة البشرية كما هى ، فقد تطلع الى اليوم الذى يتاح فيه الاتصال والتعليم بالنسبة للافراد حتى يتمسكوا بالمواقف الانسانية على أساس التمسك بالتعبير عن الاهداف الاجتماعية المؤثرة • ويجب أن يحل التكيف اللاشعورى محل التوجيه الذاتى لكل جماعة من خلال خطوط التعاطف والثراء الثقافى المتسعة (١) •

ويستحق كولى أن يوصف بأنه مفكر سوسيولوجى يسبر الحقائق بمعقولية وعمق • ولقد وجدت اسهاماته الى الفكر الاجتمـــاعى فى الاوصاف الواضحة للعملية الاجتماعية التى من خلالها تنبثق الشخصيات والتنظيمات الاجتماعية ، وفى تحليله المتعمق للاتصـــال على أنه عنصر أساسى فى التقدم ، وفى تأكيده على الضبط العقلى الرشيد للمستويات الاجتماعية (٢) •

★ **الطبقات الاجتماعية :**

يذهب كولى الى أن الطبقات الاجتماعية Social Classes هى اكثر الجماعات الاجتماعية شمولا وانتشـــارا ، ويرى أن التدرج الطبقى ومايؤديه من وظائف فى المجتمع ، ظـــاهرة عامـــة • ويعتبر التوريث Inheritance والمنافسة بمثابة عاملين يعملان على تحقيق بعض عناصر وسمات الطبقات الاجتماعية فى كافة المجتمعات • وقد استطاع كولى أن يسبق بارك R. Park وتلاميذه ، وبخاصة لويد وارنر L. Warner عندما أشار الى الطابع الطبقى الذى يميز الجماعات العنصرية فى الولايات

---

1) Ibid., PP. 496-497.
2) Ibid., PP. 497-498.

المتحدة • ومع ذلك ، فقد امتزج تحليله للتدرج الطبقى بقيمه الشخصية التى تمثلت فى تعاطفه الشديد مع الطبقات الدنيا ، وايمانـــة بالتقدم السريع نحو مجتمع مفتوح الطبقات (١) •

وقد وضع كولى قائمة بثلاثة بنود ، يوضح فيهـــا الظروف التى تعمل على صياغة بناء طبقى متبلور ، وهى :

١ ـ عدم تشابه الذين يكونون مجموع السكان كنتيجة للتمـــايز فى تجانس الشعب •

٢ ـ الوضع الحر للمجتمع بحيث يحدد الاساس الوراثى أدوار الافراد فى البناء الكلى •

٣ ـ الدورة الاجتماعية البسيطة بسبب الفرص القليلة المتاحـــة لمن يحتلون مكانة اجتماعية دنيا لضمان مستويات التعليم المطلوبـة ومصادر الثروة التى ترقى بهم الى وضع آخر فى تنافس مفتوح • ومن الواضح أن هذه الظروف الثلاثـــة متمثلة الآن فى بعض المدن (٢) •

★ **الاتصال :** Communication

يعتبر مفهوم « الاتصال » من المفهومات الاساسية فى الاطار الفكرى الاجتماعى لدى كولى • والاتصال هو « الميكانزم الذى من خلاله توجد العلاقـــات البشرية وتنمو » • ولقد أكد كولى أن اللغة وحدها لا تنشىء الرموز العقلية وحسب ، بل ان كل الموضوعات والأفعال هى رمـــوز عقلية أيضا • والاتصال هو الوسائل التى بواسطتها يعمل العقل على نمو الطبيعة البشرية الحقه • وأن رموز بيئتنا الاجتماعية « تعطى حافز واطار نمونا » • وهكذا يمدنا مصطلح الاتصال بأساس جوهرى لفهم

---

(١) نيقولا تيماشيف ، مرجع سابق ، ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧ •
2) L. Wilson & Kolb, Op. Cit., P. 463.

الظواهر النفسية والاجتماعية التى يمكن تسميتهـــا بظواهر التخمين Suggestion والمحاكاة • Imitation

وللشخصية أصولها فى الوراثة من جانب ، وفى تيار حياة الجنس البشرى من جانب آخر • وتوضح دراسة الاتصال أن العقل الفردى لم يكن ذا نمو منفصل ، ولكنه تطور متكامل مع العقل العام •

ويمكن ملاحظة تطور وسائل الاتصال فى القرن التاسع عشر على النحو التالى : (١)

١ ـ يمكنها أن تتحمل بكفاءة ، التعبير عن مدى الافكار والاحاسيس •

٢ ـ ويمكنها انجاز عملية التسجيل •

٣ ـ وفى سرعتها •

٤ ـ وفى انتشارها على جميع طبقات الناس •

وهكذا يمكن للمجتمع أن ينتظم على أساس أحاسيس ثقافية وعقلية ومتسقة اكثر من انتظامه على أساس السلطة ، والاوتوقراطية،والطائفة•

فالعلاقات الحرة للافكار ، هى اتصال حر ولا يعترضـــــه شىء ، ولا تنتج تماثلا • ويعمل الشعور الذاتى على ايجاد فرص أوسع للتعبير• وتنتعش الدرجة المتزايدة للاتصال لكى تجعل الوعى الفردى لجزء فريد يستطيع أن يعطى تحسينا لكيفية الكل الاجتماعى • ومن ناحية أخرى تؤدى حرية الاتصال الى احداث « مرض العصر » الـــذى يســـمى بمرض الافراط فى العمل ، والارهاق ، وتنافس الجنس البشرى بحيث لا تجد الناس يؤدون عملهم بكفاءة •

---

1) Bogardus, Op. Cit., P. 494 From : Cooley, Human Nature & the Social order, Op. Cit., PP. 28-30.

وعلى ما يذهب كولى ، ليس الرأى العام مجرد تجميع لآراء الافراد ، ولكنه « نتاج تعاون الاتصال والتأثير المتبادل » • انه عبارة عن تبلور الرأى المتناقض ، الذى ينتج ثباتا معينا للفكر • انه ينتج عن المناقشة • وله اليد العليا من حيث مدى تأثيره ، أكثر من آراء الافراد متفرقين •

وتضع الجماهير اسهامات جوهرية الى الرأى العام ، ليس من خلال صياغة الافكار وانما من خلال احساساتهم • ومن خلال الخبرة اليومية للجماهير يرتبطون بحقائق الطبيعة البشرية • ولا تحدهم اهتمامات ادخار الملكية الخاصة التى تمنعهم من تقديم الثروة للمصالح العامة فى الحياة • وتصبح النتيجة الملفته للنظر بشأن العملية الاجتماعية متمثلة فى تطور الشخصيات • حيث تتيح العملية الاجتماعية فرص الدوافع والمطامح الفردية • وسوف يؤدى التعليم وظيفة مفيدة فى استغلال الافراد لمختلف الفرص • الا أن التعليم غالبا ما يفشل فى هذا بسبب تزايد المطامح وعدم كفاية المعرفة الرسمية فى تحقيق ما يصبو اليه الافراد من آمال (١) •

★ **نظرية الرأى العام :**

يرى كولى أن الرأى العام لم يكن مجرد تجمع لاحكام فردية مختلفة ولكنه تنظيم وسلوك تعاونى ، يتم عن طريقه الاتصال والتأثير المتبادل والمشترك ، وربما يختلف الرأى العام عن افتراض أن الافراد ربما يكونون فى تفكير معين كأفراد منفصل الواحد منهم عن الآخر ، الا أن هذا يتلاشى عندما نرى الرأى العام بمثابة سفينة تبنى بواسطة مئات من الرجال لا يستطيع واحد بعينه بنائها على انفراد (٢) •

---

1) Ibid., PP. 494-495.

(٢) أعتمدنا فى عرض نظرية كولى عن الرأى العام — بصفة جوهرية — على:
Borgatta & Meyer, Op. Cit., PP. 257-260.

وتوجد الجماعة كحقيقة واقعة ، يقوم كل فرد بتحقيق أهدافهـا المحددة ، فهى تركز الاهتمام فى حالات فرديـة ــ كهذه ــ تبحث عن شعورها من أجل أفكار ثابته ، واحساسات مترسخة ، فيعمل الفرد على ضوء الكل قبل أن يدرك فكرته الحقيقية عن الجماعة ذاتها . ويحدث هذا بصورة واضحة فى حالة الشعور بالوطنية . فالفرد عند اتيانـه سلوكا معينا ، فانما يفسره فى حدود ما هو مستعد له فى ذاكرته أو فكرته وعن طريق الافكار المرنة لدى الآخرين الذين تفترق عقولهم عنه كذلك . فكل فرد مزود بحقيقة معينة أو بفكرة بعينها أو بشعور خاص، الا أن تفكيره غير معروف لمن يحاولون تجزيئه أو تفسيره . وهكذا فليس ثم مجرد عقل فردى ، وانما هناك عقول ككل تبحث عن المادة الثابتة حتى تضعها فى تيار الافكار العام من أجل أن يستخدمها كل منهم . وبهذه الطريقة تضحى العقول فى اتصال مع الجماعة على أنها كل عضوى فريد. ولم تكن وحدتها هذه نتاج التشابه ، وانما هى نتاج العقل والحيـاة والافكار المترابطة .

وليس من الضرورى أن يكون ثم اتفاق ، وانما الشىء الجوهرى هو امتداد وثبات الافكار الناجمة عن الانتباه والمناقشة . وقد توجد آراء جد مختلفة ، الا أن هذه الاختلافات مسألة نسبية ،اذ سيكتب لهـا الانتهاء . ولذا يعرف الناس ما يفكرون فيه حقيقة حول حادث معين ، مثلما يفكر غيرهم فى نفس الحادث . فمقاييس الاحكام والخطابـات والرموز المختلفة انما هى نتاج للتعبير وللتعاون ، وتحديد للتناقض . انها تذهب كى ما تكون تنظيما كاملا نسبيا للافكار ، عن طريقها يضيف كل فرد أو جماعة شيئا ما الى طريقته الخاصة .

والذى يفهم الرأى العام يستطيع أن يميز بوضـوح وجلاء بين الراى الصادق او الناضج ، وبين الانطباع المرغوب فيه ، وبين مايتكون

عن طريق الانتباه والمناقشة . مما قد يكون فى فترة معينة دون سواها وكذلك بين ما يعطى معانى وأهمية لشىء ما حتى ولو كان خاطئا . فنادرا ما نلاحظ الحوادث التى تلفت النظر والاهتمـــــام ، حيث تظهر تلك الحوادث بطريقة غير محددة . أما الانطباع المرغوب فيه فعلى العكس من ذلك ، انه انطباع سطحى ومؤقت اذ لا يستخدم دائما فى وصف الفعل المرغوب فيه . وهو يماثل وجهات النظر التى لا تضع الفرد فى اعتبارها، ففى تسع وتسعين بالمائة ـ تقريبا ـ من البشر ، نجد آراء متناقضة كل يوم اذا قيست آرائهم على مدى شهر معين . ومرد هذا الى بحثهم عن عقولهم هم غالبا ، وقليلا ما يفكرون فى ذوى الاهمية الذين يؤثرون على أفكار الآخرين . وليس من المعقول ـ على ذلك ـ أن نمزج كل ما يلاحظ الى الرأى العام والى الحكم الاجتماعى العام .

ويعتقد كولى بوجوب التعبير عما لدى العامة من فكر وســـلوك ، وذلك فى صورة سلوك أو عقل عام شائع . ويجب أن يحدث نفس الشىء ـ تقريبا ـ بين الجماعات بمختلف أنواعها . والحقيقة ، انها تمثلات أو تصورات تأخذ معناها وأهميتها من كونها شعور يغلب على الجماعة ، يبدو أنه محدد ومؤثر فى التعبير عن طريق الافراد وخاصة عند تنافسهم على التعبير .

ولم يكن الرأى العام بشىء له شكل جامد ، كما نستطيع أن نفترض للوهلة الاولى وانما له وجوه متعددة ومختلفـــة . فقد نميز بين الرأى العام الذى فيه يصبح رأى كل فرد فى المجتمع مجرد جزء منــــه ، وبين اختلاف الآراء الخاصة أو اختلاف آراء طبقات أو فئات معينة كالاسرة وجماعة النادى وجماعة الدراسة والاتحادات وما الى ذلك .

وثمة اختلاف ـ كذلك ـ فى نوع التفكير الذى يأخذه العقل العام ويحتويه . فقد يكون المحتوى على درجة عالية من الاهمية ، وهكذا يصبح

للجماعات « مثل » ومعتقدات يمكن ملاحظتها من خلال العقيدة والتجارة والزراعة والزواج والتعليم وما على شاكلة ذلك . واستنادا الى الاحداث التى احتواها العقل — فى الماضى — يوجد مستوى اهتمام قد يكون خفيا أومستترا فى صورة قضايا معينة ، الا أنه حينما يفصح عنها ولنظم عن طريق المناقشة ، فانما تمزج بعناصر أخرى حتى تشكل الرأى العام .

وليست هذه الاختلافات الا مجرد انعكاســـات للتنظيم المعقد ، وللرأى الذى يفصح عن نفسه ، وللمناقشة التى تأخذ شكلا ايجابيا ، وخاصة أثناء فترات النمو والتطور ، بمعنى أنها تاخذ مكانها من خلال النسق ككل . وكذلك الحال لدى كل عضو . وقد يوجد الرأى العام بطريقة فردية ، دون نماذج خاصة من التفكير كما هو شأن الغوغاء التى تكون المجتمع غير العقلى . وقد تعتمد على نموذج خاص ، فيه يتكلم الافراد عن ذواتهم فنرى ارشاد الرأى العام واختفاء المتضمنات الخاصة الناتجة والموقظة والمؤثرة على المظهر العام .

وللرأى العام مجال أقل من مجال التخيل العام . وتعتبر التساؤلات عن اتجاه الحكم العام للعامة ، بمثابة تغير عضوى أساسى أو اعادة للحكم ، مثل التساؤل عن تجميد الحكومة للصناعات . ومن هنا يتم اختيـــار الناس على أساس شخصياتهم المتميزة . فالمتخصصـــون — فى الجيش والمسنون والمحامون ورجالات الدولة وذوى الوظائف العامة — يحكمون عن طريق الفئات التى تعطى كثيرا من الآراء فى جماعاتهم الخاصة ، اذ لهذه الفئات تأثير قوى وفورى — ولو بصورة ضئيلة — على الرأى العام ، حيث تمثل أرائها فى ذاتها أعمالهم الممكنة . فقاعدة الرأى العام تعنى الجزء الاكبر من السلطة المستترة التى يمارسها العامة بمصاحبـــة ما يحدد وظيفته الخاصة . رغم أن هذه الفئات قد لا تتمكن من مشاركة الجماعة فى تفاصيل الاعمال التى يقوم بها العامة . ولهذا يضيف كولى :

الاحساس والشعور العام المؤقت وذا الاتجاه العام فى هذه العملية التى يتم من خلالها اختيار القادة ، حيث يتبلور اتجاه الانسان كعضو من خلال احساسه بالجماعة التى يعبر عنها •

★ نظرية القيادة : Leadership

يرى كولى أن ثمة افتراض بأن نظريةالقيادة أو النفوذ الشخصى Personal ascendency (١) تتضمن سؤالا عن التقييم النسبى للعقل نحو التخمينات الآتية اليه من عقول الآخرين • وتعتمد القيادة على نفوذ الانطباع الشخصى فى إيقاظ الشعور والتفكير اللذين يبدوان كموضوعين فى السكان • فهناك آخرون لانستطيع أن نفكر فيهم وهم فى الواقع يقودون المناقشة الى اعتقادات الجوار ، ولذلك فحياتهم مؤقته ، وربما لاجيال لاحقة عليهم • ويبدو سبب هذا أن أى شىء يتجدد فى العلاقة بين الانطباع الشخصى للانسان وبين العقل الذى يتعقل هذا الانطباع • واذا ذهبنا أبعد من ذلك لنكشف عما تصنعه التخمينات المحددة لتعاقب الاجيال ، فيجب القاء الضوء على القيادة • بالاضافة الى القاء بعض الاسئلة التى تدور حول الاتجاه الاجتماعى Social tendency وينبغى أن تكون هناك دراية بتلك النظرية عن أهمية قوى الحياة ، دون أن يكون ذلك فى صورة رياضية لتكوين القيادة • وثمة بعض من العمق فى الاتجاه البشرى معروف لدينا ، الا أن هناك من يعرف أكثر أو أقل من معرفتنا بهذا الاتجاه • ومع ذلك فهناك مشكلة الاختلاف فى الجنس والسن والاصل والوراثة والنمو الشخصى • علاوة على أن الفكرة العامة عن التطور ، تقودنا الى توقع الحياة واعطاء اتجاه معين أو وظيفة معينة للحياة السالفة عن الاصل •

وتظهر الحالة الاولى للنفوذ لدى الشخص فى صورة غير مباشرة •

---

1) Edger F. Borgatta & Henry J. Meyer, Op. Cit., PP.176-177.

فهى ليست اكثر القوى اعتمادا علينا من المتطلبات الذاتية • فللعامل قدراته ، وعليه أن يعمل كما ينبغى أن يتطلب ارشادا معينا ، ويشكل التفكير ، وهذا ما يسهل من وظيفته • وتعتبر النظرة الى الحياة نظرة جدلية ، حيث لا نعرف حقيقة أن الحاجة الاولية هى الحاجة للسلوك • فلكل عضو مقدراته الخاصة ، ويجب أن يكون كذلك • اننا نولد من أجل الفعل أو السلوك • وكذلك كيما تكون لدينا مقدرة على التخمين وتوجيه السلوك لقوى تأتينا بادىء ذى بدء • ان الانتباه الى الطفل الجديـــد يبين لنا هذا الاتجاه ، خلال حركاته وكلامه •• الخ • فاهتمام الاشخاص والحيوانات بأنفسهم مرده اختلاف دوافع الاحساس لديهم عن غيرهم من الموضوعات • فهم يتحركون ويتكلمون ويحضرون الطعام وما الى ذلك • وهذا يتطلب نوعا من المنزلة Prestige لعقل الطفل الذى يشارك فى الدوافع وفى ظواهر معينة • فقد يتلقى بعد ذلك بعض أنواع ضبط السلوك والنشاط ، وقد يرحب بالغضب حينما يشارك فى شىء معين • وخلال نموه ، فانه يعجب بأشياء معينة يريد تفهمها عن كثب •

★ **خاتمة :**

لم يتأكد كولى من استخدام علماء الاجتمـــــاع الأوائل لمفهوم « الجماعة Group » كمدخل للتنظيم الاجتماعى • فسمنر Sumner وجدنجز Giddings وسمول Small وروس Ross من الرواد الذين أعطوا المفهوم أهمية فى الفكر السوسيولوجى • كذلك نضم اليهم كولى ، فمفهومه عن الجماعة الاولية ، يعتبر ــ الآن ــ عاملا أساســـيا فى أى تصنيف للجماعات • وقد طرحت بعض التساؤلات عن كيفية تحديـــد كولى ووصفه لجماعة معينة على أنها أولية • فما هى ــ اذن ــ تلـــك الجماعات الاولية ؟ وما هو المقياس الذى على أساسه نتعرف عليهـــا ونميزها عن غيرها من الجماعات ؟ وما هو الدور الذى تلعبه فى تطور

ونمو الطبيعة البشرية والشخصية ؟ (١) ٠

يمكن اعتبار الفرد عضوا فى كل اجتماعى ، والغرض من النظر اليه منفصلا انما هو وسيلة للوقوف على حقيقته وحقيقـــة المجتمع ٠ ونستطيع أن نلاحظ العلاقة بين الفرد والمجتمع على أنها علاقة عضوية ، ومعنى هذا أننا نرى عدم فصل الفرد عن الكل الانسانى Human whole ، اذ انه يعيش مع أعضائه ويستمد حياته من ذلك الكل (٢) خلال ما يتلقاه اجتماعيا ووراثيا ٠ انه لا يستطيع أن يقتطع ذاته عن ذلك الكل ، فالوراثة والتعلم يدخلان فى كل وجوده ٠ ومن ناحية مقابلة ، فان الكل الاجتماعى على نفس الدرجة ، اذ يعتمد على كل فرد ، لأن كليهما يضيف شيئا الى الحياة العامة ، وليس ثمة أحد لا يضيف ٠ وهكذا فنحن كل « عضوى Organism » اذ نعيش ككل على اختلاف الوظائف التى يؤديها كل منا (٣) ٠

ويرى كولى أن ظاهرة التجمع الاجتماعى عرفت الآن عن طريق علماء الاجتماع كموضوع له أهميته فى دراسة التنظيم الاجتماعى ٠ الا

---

1) Edward C. Jandy, Charles Horton Cooley : his life and his Social Theory, The Norwood press, N.Y., 1942, PP. 172-173.

(٢) يذهب ماكيفر وبيبج الى أن « المجتمع نسق مكون من العرف المنوع والاجراءات المرسومة ومن السلطة والمعونة المتبادلة ، ومن كثير من التجمعات والاقسام ، وشتى وجوه ضبط السلوك الانســـــانى والحريات » ٠

انظر : « ماكيفر وبيج ، المجتمع ، ترجمة على احمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦١ ، ص ١٦ — ١٧ ٠

3) Charles H. Cooley, Human Nature and the Social order, Op. Cit., PP. 35-FF.

أن هؤلاء العلماء نظروا الى علمهم على أنه علم لحياة الجماعة ، ولذلك قالوا انه من الافضل النظر الى الجماعات البشرية على أنها وجه اكثر عمقا من كل العمليات التجمعية الاخرى • واذا مـــا حاولنا تحليل مفهوم الجماعة تاريخيا فنجد أن ثمة اهتمامات غير قليلة لتطورهـــا في علم الاجتماع ، أبعد مما كنا نعتاد على مفاهيم أخرى مثل البناء Structure والوظيفة Function والعملية الاطرادية Process أو المجتمـــع Society (١) •

وفي هذا يذهب كولى الى أن المجتمع كائـن عضوى ، حيث يمثل كيانا كليا حيا ، ويتألف من وحدات متمايزة ، تؤدى كل وحدة منهـــا وظيفة خاصة بها • فالمجتمع هو ذلك الكل المعقد الذى يتألف من الصور والعمليات التى تحقق وجودها ونموها من خلال تفاعلها مع بعضها ، وهى كذلك تؤلف كائنا كليا له وحدة مستقلة ، بحيث أن ما يحدث فى جزء منه تنعكس آثاره على بقية الاجزاء (٢) •

وبهذا لم يلجأ كولى الى فكرة المماثلة العضوية كما فعل سبنسر أو شافل ، وانما كان أساسه ــ هنا ــ أن يوضح طبيعة العلاقة بين الفرد والمجتمع • الا أن المجتمع ــ لديه ــ أكبر من المجموع الكلى للافراد الذين يدخلون فى تكوينه ، لان وحدة المجتمع ترتبط بوحدة العقل الاجتماعى الذى يتكون عن طريق التنظيم •

ويمكن تلخيص اسهامات كولى فى تاريخ النظرية السوسيولوجية ــ كما يرى تيماشيف ــ فيما يلى (٣) :

---

1) E. Jandy, Op. Cit., P. 172.

(٢) نيقولا تيماشيف ، مرجع سابق ، ص ٢٣٢ ــ ٢٣٣ •

3) N. Timasheff, Sociological Theory, N.Y., 1964, PP. 145-147.

١ ـ لم يضع كولى تعريفا اجرائيا للمجتمع Society ولكنه وقف على أن المجتمع كل عضوى وكيان نفسى • وقد اطلق على وجهة نظره هذه بالعضوية Organic ولكنها فى الوقت الراهن بمثابة المقدمة الرئيسية التى تقود الى أسس النظرية الوظيفية •

٢ ـ أنكر بشدة وجود عامل منفرد يحدد كيان المجتمع أو تطوره • ولم يفرد وحدة خاصة للمجتمع ، ماعدا الجماعة الاولية ، من أجل التحليل السوسيولوجى ، وربما كان هذا أحد القيود الاساسية فى كتاباته والتى برغم جدتها وأهميتها الا أنها غامضة ومبهمة •

٣ ـ ان تناول كولى للجماعة الاولية يضفى اسهامات أساسية الى كل من علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعى • فالجماعة الاولية ـ فى هذه الايام ـ مقدمة عامة فى تصنيفات مختلف نماذج الجماعات الاجتماعية •

٤ ـ وبالرغم من أنه صاغ قضاياه فى ضوء الابستمولوجى المثالية Idealistic epistemology فان موقفه من مشكلة العلاقة بين الفرد والجماعة تبين وجهة النظر العامة فى عصره • وعلى العكس من سبنسر الذى وقف على أن الفرد هو الاساس والجماعة مجرد المجموع الكلى لاعضائها ، وعلى عكس جومبلوفيتز ودوركايم اللذين أعطيا للجماعة أولوية على أعضائها الافراد ، يرى كولى انه ليس للفرد أو للجماعة أولوية فى التحليل السوسيولوجى ، لان ثمة عمليات تفاعلية للتأثير المتبادل بينهما •

٥ ـ وكما رأينا فقد تناول كولى « الطبقة Class » والطائفة « Caste » وكان لهذا أثره فى تطور دراسات علم الاجتماع ، فنظريته عن النظم Institutions باعتبارها نتاجا للحاجات الدائمة للطبيعة البشرية ، يتشابه الى حد كبير مع القضايا

الوظيفية • وعند مناقشته للنظم الاقتصادية تناول تفرعاتهـــا الثقافية والاجتماعية مثلا •

٦ ـ وكباحث فى مناهج البحث ، فقد طبق مبدأ الفهم التعـــاطفى Understanding Intuation داعيا بأن التعاطف ضروريا فى أى بحث سوسيولوجى • وبينما كان يلاحظ حياة الجماعة التى تحيط به وخاصة جماعات لعب الاطفال كان يعتمد أيضا على « الحـــدس Sympathetic » • ولهذا يرى تيماشيف امكانية وضع كولى ضمن مدرسة الظاهرات Phenomenological School فى علم الاجتمـاع الحديث • وقد كان كولى مقتنعـــا بأن الاهتمـــام المبدئى لعلم الاجتماع يرتكز حول الظواهر الجماعية ، لفهم ما يتعمقه الفنان وما يلاحظه العالم • اذ نظر متشككا الى التجاوزات المتزايـــدة للاحصاءات فى البحوث السوسيولوجية (١) •

---

1) J. H. Abraham, Op. Cit.

المراجع المستخدمة

أولا : مراجع عربية :

١ ـ د· غريب محمد سيد احمد ، المدخل فى دراسة الجماعات الاجتماعية ، دار الكتب الجامعية ، ١٩٧٣ ·

٢ ـ د· مصطفى الخشاب ، علم الاجتماع ومدراسه ، الكتاب الثالث : المدارس الاجتماعية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ ·

٣ ـ د· مصطفى سويف ، مقدمة لعلم النفس الاجتماعى ، مكتبة الانجلو المصرية ·

ثانيا : مراجع مترجمة :

٤ ـ أمان كوفيلييه ، مقدمة فى علم الاجتماع ، ترجمة د· السيد محمد بدوى ، وعباس احمد الشربينى ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦١ ·

٥ ـ روبرت ماكيفر وتشارلز بيج، المجتمع ـ ترجمة د· على احمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦١ ·

٦ ـ نيقولا تيماشيف ، نظرية علم الاجتماع ، طبيعتها وتطورها ، ترجمة د محمود عوده وآخرون ، مراجعة وتقديم د· محمد عاطف غيث دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠ ·

ثالثا : مراجع أجنبية :

7) Abraham J.H., The Origins and Growth of Sociology, Hazell Watson & Viney Ltd., London, 1973.

8) Bierstedt R., The Social Order, McGraw Hill Co., N.Y., 1957.

9) Bogardus Emory S., The Development of Social Thought, David McKay Company, N.Y., 1964.

10) Borgatta Edgar F. & Meyer Henry J., Sociological Theory Present-day from the Past, Alfred Aknopf, N.Y., 1956.

11) Cooley Charles, H., Genius, Fame & The Comparison of Races, 1897.

12) Cooley Charles, H., Human Nature and the Social Order, The Free Press, N.Y., 1956.

13) Cooley Charles H., Social Organization : A Study of the Large Mind, The Free Press, N.Y., 1956.

14) Coser Lewis A. & Rosenberg, Sociological Theory, N.Y., 1965.

15) Jandy Edward C., Charles Horton Clooley : His Life and his Social Theory, The Norwood Press, N.Y., 1942.

16) Martindale Don, The Nature and Types of Sociological Theory, Boston, 1960.

17) Nelson Lewry et al., Comunity Structure and Change, The Macmillan Comp., N.Y., 1964.

18) Sutherland R.L. et al., Introductory Sociology, Oxford & I.B.H. Pub., N. Belhi, 1961.

19) Wilson L. & Kolb W.L., Sociological Analysis, Harcourt Brace & Comp, N.Y., 1949.

مطبعة التقدم
عبد القادر محمد التونى
٢١ شارع سيزوستريس ـ الاسكندرية

دار المعرفة الجامعية
٤٠ شارع سوتر الأزاريطة